Din ve İnsan Dergisi

Journal of Religion and Human - مجلة الدين والإنسان

ISSN: 2980-1117

Cilt: 3 | **Sayı: 5** | **Haziran 2023**

Volume / المجلد: 3 | **Issue / العدد: 5** | **June / حزيران 2023**

Dr. Vasfi ABUZİD

wasfy75@gmail.com

ORCID: 0000-0003-3750-1194

AHLAK - MAKASID İLİŞKİSİ, MAKASID DÜŞÜNCESİNİN AHLAK İLE İHYASI

THE RELATIONSHIP OF ETHICS - MAKASID, THE REVIVAL OF MAKASID THOUGHT WITH ETHICS

Atıf:
Abuzid, V. (2023). Ahlak - Makasıd İlişkisi, Makasıd Düşüncesinin Ahlak ile İhyası. *Din ve İnsan Dergisi. 3* (5), 61-80.

Makale Türü / Article Information: Araştırma Makalesi / Research Article

Yükleme Tarihi / Received Date: 16.05.2023
Kabul Tarihi / Accepted Date: 11.06.2023
Yayımlanma Tarihi / Published Date: Haziran 2023
İlk-Son Sayfa / First-Last Page: 61-80

İntihal
Plagiarism / انتحال
Bu makale intihal programında taranmıştır.
This article was checked in the plagiarism program.
تم مسح هذه المقالة في برنامج الانتحال

Yayımlanan makalelerde Araştırma ve Yayın Etiğine riayet edilmiş; COPE (Committee on Publication Ethics)'un Editör ve Yazarlar için yayımlamış olduğu uluslararası standartlar dikkate alınmıştır.

Research and Publication Ethics were complied with in the published articles; International standards published by COPE (Committee on Publication Ethics) for Editors and Authors have been taken into account.

علاقة المقاصد بالأخلاق

نحو تفعيل النظر المقاصدي في الأخلاق

AHLAK - MAKASID İLİŞKİSİ, MAKASID DÜŞÜNCESİNİN AHLAK İLE İHYASI

THE RELATIONSHIP OF ETHICS - MAKASID, THE REVIVAL OF MAKASID THOUGHT WITH ETHICS

د. وصفي عاشور أبو زيد[1]

ملخص:

حين نتحدث عن الأخلاق فإنما نتحدث عن الدين نفسه، فالدين خُلق والخُلق دين، فمن زاد عليك في الأخلاق فقد زاد عليك في الدين؛ ولهذا كانت الأخلاق تقود إلى الإيمان، والإيمان يقود إلى الأخلاق.

ومن المكانة الكبيرة للأخلاق في التصور الإسلامي أن علاقتها وثيقة بمباحث مهمة في علم "أصول الفقه"، والأخلاق حاكمة على "مسائل الفقه الإسلامي"، فلا توجد "مسألة فقهية" إلا وهي محكومة بالأخلاق، ولا يمكن تحقيق المقاصد من مسائل الفقه إلا إذا كان محكوما بالأخلاق.

وإن الحديث عن علاقة المقاصد بالأخلاق وعلاقة الأخلاق بالمقاصد حديث مهم؛ حيث إن بينهما علاقة قوية لا تنفصل؛ فالأخلاق مقاصد والمقاصد أخلاق بحيث إن الضروريات الكلية الخمس في مقاصد الشريعة الإسلامية هي ضروريات أخلاقية، ولا يكون حفظها إلا بالأخلاق، وفي الوقت نفسه فإن تحقيق الأخلاق ورعايتها وحفظها والعناية بها يعتبر من مقاصد الشريعة الإسلامية.

ومن هنا كان حديث العلماء عن فكرة "تخليق مقاصد الشريعة" يعني صبغة مقاصد الشريعة بالأخلاق، كما ذهب إلى هذا د. طه عبد الرحمن، حديثا يحتاج لإعادة نظر؛ حيث إن أخلاقية المقاصد ثابتة، ومقاصدية الأخلاق معلومة، وتحدث آخرون حول الأخلاق وعلاقتها بالكليات الضرورية في مقاصد الشريعة.

الكلمات المفتاحية: الفقه، الأخلاق، المقاصد، الأصول، تفعيل.

Özet

Biz ahlak hakkında konuşurken aslında dinin bizatihi kendisinden bahsediyoruz. Din ahlaktır, ahlak da dindir. Kim ahlakta senin önünde ise o kişi dinde de senin öndedir. Bu nedenle ahlak imana, iman da ahlaka götürür. Ahlaktan söz edildiğinde esasen dinin kendisinden bahsedilmektedir. Ahlakta önde olan dinde de öne geçer.

(wasfy75@gmail.com) ORCID: 0000-0003-3750-1194 ([1]) **أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة – جامعة ابن خلدون باسطنبول**

Ahlakın İslami tasavvurda önemli bir yer tutmasının sebebi "fıkıh usulü" ilmindeki mühim meselelerle çok sıkı bir ilişki içinde olmasıdır. Ahlâk, İslam fıkhının meselelerine hakim bir fenomen olduğu söylenebilir. Hiçbir "fıkıh meselesi" ahlaktan kopuk değildir, ahlâk hesaba katılmadıkça makasıda ulaşmak mümkün değildir.

Makasıdın ahlak ile ahlakın da makasıd ile ilişkisini konuşmak çok mühimdir. Aralarında güçlü ve ayrılmaz bir ilişki olduğu için; ahlâk Makasıdır, Makasıd da ahlâktır. Öyle ki makasıd daki beş küllî zaruriyyat, ahlâkî zaruretlerdir. Bu beş külli zaruriyyat ahlak olmadan korunamaz. Ahlakın gerçekleştirilmesi, ahlaka riayet, ahlakın muhafazası, ahlaktan yardım almak bütünüyle makasıdın bir parçası sayılır.

Bu noktadan hareketle alimlerin "Şeriatın makasıdını tespit etme" fikrinden bahsetmeleri, makasıdı ahlakla boyamak anlamına gelmektedir ki, bu Dr.Taha Abdurrahman'ın tercih ettiği görüştür. Bu görüş tekrardan değerlendirilmeyi hak etmektedir çünkü makasıdın ahlakiliği sabittir, ahlakın da makasıd oluşu malumdur. Diğerleri ise ahlak ile ahlakın makasıd-ı şeria'daki külli zaruriyyat ile ilişkisinden bahsetmişlerdir.

Anahtar Kelimeler: Fıkıh, Ahlak, Makasıd, Fıkıh Usûlü, İhyâ.

Abstract

When we talk about morality, we are talking about religion itself. Religion is morality and morality is religion. So, whoever is morally superior, is also religiously superior. That is why morality leads to faith, and faith leads to morality.

The great status morality has in Islamic understanding is evident in its strong affinity to important discussions in Islamic jurisprudence (uṣūl al-fiqh). Morality governs all cases of Islamic law (al-masā'il fiqhiyya); there is no case of the Islamic law that is not governed by morality. It is not possible to achieve the objectives of al-masā'il al-fiqhiyya unless governed by morality.

Speaking of the relationship between morality and objectives of sharia (maqāṣid al-sharīʿa) is important, for they have a strong and inseparable relationship. Morality is maqāṣid and maqāṣid is morality, as the five major necessities within the objectives of sharia are moral, and they can only be preserved through morality.

Hence, the recent discussion of "moralizing maqāṣid"—as in Dr. Taha Abdelrahman's work—needs to be reconsidered since the morality of maqāṣid and the maqāṣid-ness or morality are well known. Some also talked about morality and its relationship to the major necessities of maqāṣid al-sharīʿa.

Keywords: Islamic law (Fiqh), Morality, Islamic jurisprudence(uṣūl al-fiqh), Maqāsid, activation.

1.مدخل: الإسلام رسالة أخلاق:

من المعلوم أن رسالة الإسلام هي رسالة أخلاق؛ ولهذا وصف القرآن الكريم النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بأنه على خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٤]، وفسرت السيدة عائشة هذا الخلق فقالت: "كان خُلُقُه القُرآنَ"(2).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (٢٥٣٠٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

وكانت بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – لتتميم مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ"(3).

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم – عظيم الخلق، لين الجانب، سهل المأخذ، ينزل على رأي أصحابه، ويصحب أضعفهم لقضاء مصلحته، وتأخذ الجارية بيده فتنطلق به حيث شاءت في شوارع المدينة.

قال علي رضي الله عنه: (**كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم**).

ويعلق ابن القيم على كلام عليٍّ قائلًا: (فقوله كان أجود الناس صدرا أراد به بر الصدر وكثرة خيره، وأن الخير يتفجر منه تفجيرا، وأنه منطو على كل خلق جميل، وكل خير، كما قال بعض أهل العلم: ليس في الدنيا كلها محل كان أكثر خيرا من صدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جمع الخير بحذافيره، وأودع في صدره صلى الله عليه وسلم.

وقوله: أصدق الناس لهجة. هذا مما أقر له به أعداؤه المحاربون له، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة قط، دع شهادة أوليائه كلهم له به، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات مشركوهم وأهل الكتاب منهم، وليس أحد منهم يومًا من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة"(4).

ولهذا جُعل معيار القرب من النبي يوم القيامة حسن الخلق؛ فعن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مجلس: "ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة" - ثلاث مرات يقولها – قال: قلنا: "بلى يا رسول الله" قال: فقال: "أحسنكم أخلاقا"(5).

---

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) واللفظ لهما، وأورده الألباني في صحيح الجامع (2833)، وفي السلسلة الصحيحة (٤٥).

(4) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ) ، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م: 183.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (7035)، وقال شعيب الأرنؤوط: "حسن".

وعقد الإمام ابن القيم فصلا في مدراجه بعنوان: "الدين كله خلق"، قال: "فصل، الدين كله خلق. فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين"(6).

بل إن القرآن الكريم حينما تحدث عن وظائف النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر وظائف كلها أخلاق، حين قال – عز من قائل -: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف ١٥٧]، فالمعروف هو كل عمل خير يقره العقل وتجيزه الفطرة، والمنكر هو ما تستقبحه الفطرة وتأباه العقول السوية.

وقد شرح ذلك سيدنا جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي شرحا وافيًا يبين فيه أخلاقية وظائف النبوة، فقال: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، " فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام"، قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث"(7).

---

(6) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: د. محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ - 1996م: 2/ 294.

.

(7) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (1740)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن".

ولو ذهبنا نتتبع ما ورد في القرآن والسنة، وما قاله العلماء في الأخلاق لطال بنا المقام، ففي هذا الكفاية، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق!

2.الأخلاق تقود للإيمان:

كيف تقود الأخلاق للإيمان؟ هذا سؤال مهم ومن الضروري أن نطرحه في هذا السياق، فإن الله تعالى خلق هذا الإنسان، وسواه بيده، ونفخ فيه منروحه، وأسجد له الملائكة، وشرفه، وكلفه، وأرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وسخر له ما في السماوت وما في الأرض.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾ [السجدة ٧-٩].

وقال عز شأنه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ﴾ [لقمان ٢٠].

وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآٮِٕبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ [إبراهيم ٣٢-٣٤].

وهنا يأتي الجواب عن السؤال بطرح سؤال آخر: هل من حسن الخلق أن نكفر بمن خلقنا ورزقنا وشرفنا وهدانا وسخر لنا كل هذا؟!

إن النفس جبلت على حب من أحسن إليها، والرغبة في مقابلة إحسانه بإحسان، وقد قال الشاعر أبو الفتح البستي:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ** فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وكن على الدهر معواناً لذي أمل ** يرجو نداك فإن الحر معوان

ومع هذا فانظر كيف أعطى الله الحرية للبشر، ومنحهم إرادة الاختيار أن يؤمنوا به أو يكفروا! ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف ٢٩]، ونفى تصور الإكراه في الدين: ﴿لَآ

إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة ٢٥٦]، وقال لنبيه – صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس ٩٩].

إن حسن الخلق مع هذا كله يقتضي الإيمان بالله تعالى، والتعبد له، واتباع أمره، والانتهاء عن نهية، ولا يخفى ما لهذا من علاقة بالمقاصد؛ فإن هذا كله مقصود شرعا.

3.الأخلاق حاكمة لمباحث في أصول الفقه:

كما أن الأخلاق لها علاقة توجيهية ببعض المباحث في أصول الفقه، وهي مباحث مقاصدية بوضوح، مثل المصالح والتعليل والاستحسان، فالمصالح يجب أن تكون أخلاقية بمعنى أنها تتسق مع الشرع وتحقق مصالح الناس، والتعليل إذا تأملناه وجدناه أخلاقيًا؛ فالعلل في غالبها أو مجملها هي علل أخلاقية، وهذا يحتاج دراسة مستقلة، والاستحسان الذي أورد له السرخسي تعريفات كلها أخلاقية "الاستحسان ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس، وقيل: الاستحسان طلب السهولة في الأحكام فيما يبتلى فيه الخاص والعام، وقيل: الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة، وقيل: الأخذ بالسماحة وابتغاء ما فيه الراحة"(8).

فأنت ترى أن هذه المباحث الأصولية – وغيرها مما يحتاج إلى بحث واستقصاء - معانيها أخلاقية، وحقيقتها أخلاقية، ومآلها أخلاقي، والتعامل معها أخلاقي؛ حيث إنها تفرض "الأخلاقية" على المجتهد حين يتعامل معها، والحق أن هذا المعنى – معنى ارتباط الأخلاق بعلم الأصول – يحتاج إلى دراسة حقيقية، وهي أرض بكر لا أعرف من تعرض لها أو بحث فيها، وهو عمل جليل ينتظر الباحثين الجادين ليبرز هذا الجانب في هذا العلم الفريد.

4.الأخلاق حاكمة للفقه الإسلامي:

وإذا كانت الأخلاق حاكمة لكثير من المباحث في علم أصول الفقه، وبخاصة المقاصدية منه؛ فإن لها علاقة – أي علاقة – بالفقه الإسلامي، بجميع أبوابه، وكل مسائله، وهي ليست علاقة بينية، بل علاقة فوقية حاكمة على مسائل الفقه جميعا: عبادات ومعاملات.

---

(8) االسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: 483هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، 1414هـ - 1993م: 10/ 145.

فالعبادات - بشعائرها وغيرها - حق الله تعالى، وللحقوق علاقة بالأخلاق؛ فهي لا تؤدى إلا بالأخلاق، ولا تكافأ إلا بالأخلاق، ولا تحفظ إلا بالأخلاق، وهذا مما يحتاج لدراسة أيضا – ومآل هذه العبادات وثمرتها أخلاقي؛ فهي تهذب النفس، وتصلح الأسرة، وتقوّم المجتمع.

والمعاملات – بما فيها أحكام الأسرة وما سوى العبادات – هي حقوق العباد، وحقوق العباد لا تحفظ ولا تؤدى ولا يتعامل معها إلا بالأخلاق، فالفقه لحمته وسداه الأخلاق: تلقيا وأداء وانتهاء؛ فالأخلاق حاكمة على الفقه من جوانبه جميعا.

ومن الجدير بالذكر أن الفقه الإسلامي ليس أحكاما ظاهرية فقط بل تتعلق أحكامه كذلك بأحكام الباطن؛ فليس كل ظاهر من الأحكام والقوانين قادرًا على ضبط حركة الإنسان وحمله على الالتزام، وكم من قوانين يخالفها الناس بالاحتيال عليها والالتفاف حولها.

ولهذا قرر العلامة أحمد الريسوني "أن ما لا يسري عليه ولا يضبطه سلطان التشريع والقضاء والجزاء الدنيوي، لا يبقى غُفلا من أي حكم أو تبعة أو مسؤولية، بل يسري عليه سلطان الأخلاق والحساب الأخروي، كما أن أحكام الظاهر لا تُسقط حقائق الباطن وأحكامه، ومن هنا قرر الفقهاء أن "حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا"؛ أي أن ما يكون حراما وباطلا في علم الله وحكمه، إذا لم يتمكن القاضي من معرفة بطلانه، فحكم به لمن ادعاه وأثبته زورا، فهو باق على تحريمه وبطلانه من الناحية الديانية الأخروية، والعكس صحيح أيضا، فالحكم القضائي الدنيوي لا يسقط الحكم الأخلاقي الأخروي"(9).

ومن هنا ذهب العلامة مصطفى الزرقا إلى أن هذه ميزة للفقه الإسلامي تفوق بها على القوانين الأخرى، وهي جمعه بين الأمور الروحية والمادية، واستيعابه للظاهر والباطن، يقول: "الفقه الإسلامي هو نظام روحي ومدني معا؛ لأن الشرع الإسلامي جاء ناظماً لأمور الدين والدنيا، ومن هنا افترق الفقه الإسلامي حتى في القسم المدني منه – وهو المعاملات - عن القوانين المدنية الوضعية (أي التي ليس لها صفة دينية بل هي من وضع الأمم نفسها»؛ ففي تلك القوانين الوضعية لا محل لفكرة الحلال والحرام ولا عبرة لبواطن الأمور، بل العبرة للظواهر والصور؛ فما أمكن منه القانون وقضت به الأحكام كان حقاً سائغاً، وما لم يمكن منه فليس بحق، أما الفقه الإسلامي فللاعتبار الديني في مبناه كانت فكرة الحلال والحرام فيه رقيباً

(9) الريسوني، د. أحمد، دراسات في الأخلاق، دار الكلمة للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى. 1437هـ/ 2016م: 48.

باطنياً ترافق الإنسان وتنادي به في كل عمل، والعبرة في تعلق الحقوق للحقائق وإن كان القضاء يجري ضرورة على الظاهر"(10).

إذن كما نرى فالفقه الإسلامي كله أخلاق، أحكامه أخلاق، ومقاصده أخلاق، والتعامل مع أحكامه يكون وفق الأخلاق، والاجتهاد في فهمه وفي نوازله على السواء يكون محكوما بالأخلاق، وهو جامع بين المادة والروح، وأحكام الظاهر وأحكام الباطن جميعا.

4. 1.أقوال العلماء عن علاقة الأخلاق بالفقه والشريعة:

ومن اللافت للنظر أن الأخلاق لها علاقة وطيدة بالشريعة والأحكام التشريعية، كما بيناه سابقا، وهذا ما أدركه كثير من فقهاء الفلاسفة وفلاسفة الفقهاء؛ حيث أداروا أحكام الفقه على الأخلاق، وربطوا الأخلاق بأحكام الفقه جميعا.

فهذا ابن رشد الحفيد – الفقيه والطبيب والفيلسوف – يكشف عن الآصرة القوية بين الأحكام العملية أو النظم الشرعية والأخلاق؛ إذ يقول في آخر كتاب الأقضية من كتابه العظيم: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، وهو آخر الكتاب: "إن السنن المشروعة العملية المقصود منها هو الفضائل النفسانية:

فمنها ما يرجع إلى تعظيم من يجب تعظيمه، وشكر من يجب شكره، وفي هذا الجنس تدخل العبادات، وهذه هي السنن الكرامية.

ومنها ما يرجع إلى الفضيلة التي تسمى عفة، وهذه صنفان: السنن الواردة في المطعم والمشرب، والسنن الواردة في المناكح.

ومنها ما يرجع إلى طلب العدل والكف عن الجور.

فهذه هي أجناس السنن التي تقتضي العدل في الأموال، والتي تقتضي العدل في الأبدان. وفي هذا الجنس يدخل القصاص والحروب والعقوبات؛ لأن هذه كلها إنما يطلب بها العدل.

---

(10) الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1425هـ/ 2004م: 1/ 67.

ومنها السنن الواردة في الأعراض، ومنها السنن الواردة في جميع الأموال وتقويمها، وهي التي يقصد بها طلب الفضيلة التي تسمى السخاء، وتجنب الرذيلة التي تسمى البخل. والزكاة تدخل في هذا الباب من وجه، وتدخل أيضا في باب الاشتراك في الأموال، وكذلك الأمر في الصدقات.

ومنها سنن واردة في الاجتماع الذي هو شرط في حياة الإنسان وحفظ فضائله العملية والعلمية، وهي المعبر عنها بالرياسة، ولذلك لزم أيضا أن تكون سنن الأئمة والقوام بالدين.

ومن السنة المهمة في حين الاجتماع السنن الواردة في المحبة والبِغْضَة والتعاون على إقامة هذه السنن، وهو الذي يسمى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وهي المحبة والبغضة (أي: الدينية) التي تكون إما من قبل الإخلال بهذه السنن، وإما من قبل سوء المعتقد في الشريعة.

وأكثر ما يذكر الفقهاء في الجوامع من كتبهم ما شذ عن الأجناس الأربعة التي هي فضيلة العفة، وفضيلة العدل، وفضيلة الشجاعة، وفضيلة السخاء. والعبادة التي هي كالشروط في تثبيت هذه الفضائل"(11).

فانظر كيف نظر إلى أبواب الفقه الإسلامي ابتداء من العبادات، ومرورا بأحكام الأسرة والعقوبات، وانتهاء بأحكام الاجتماع البشري أو السياسة والحكم؛ مبينًا ما لهذه السنن – يعني النظم الشرعية – من علاقة وطيدة بالأخلاق.

وهذا النص المنقول عن ابن رشد يستحق الإفراد بالدراسة؛ إذ يمثل نظرية فقهية مقاصدية أخلاقية تحتاج إلى تأصيل من جهة، وتطبيق على تراث ابن رشد الفقهي من جهة أخرى.

وهذا ما جعل د. حمادي العبيدي يذهب للزعم بأن ابن رشد هو الفقيه الوحيد! الذي بنى مقاصد الشريعة الإسلامية على الفكرة الخلقية، وكاد يؤسس نظرية فلسفية خاصة بهذا المنحى في الشرع ... فهو ينطلق من مبدأ عام مفاده أن أحكام الشرع العملية تهدف كلها غرس الفضائل(12).

---

(11) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: 595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ - 2004م: 4/ 258.

(12) العبيدي، د. حمادي، ابن رشد وعلوم الشريعة، دار وحي القلم. دمشق. ط1. 1434هـ.2014م: 107.

أما الإمام الشاطبي فقد رأى أن "الشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق"(13).

واستدرك قائلا: "إلا أن مكارم الأخلاق إنما كانت على ضربين:

أحدهما: ما كان مألوفا وقريبا من المعقول المقبول، كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لما رسخوا فيه تمم لهم ما بقي، وهو:

الضرب الثاني: وكان منه ما لا يعقل معناه من أول وهلة فأخر، حتى كان من آخره تحريم الربا، وما أشبه ذلك، وجميع ذلك راجع إلى مكارم الأخلاق، وهو الذي كان معهودا عندهم على الجملة) (14).

وهذا كلام يتسق مع أن الإسلام جاء لا ليلغي كل شيء كان موجودا، وإنما ليقر ما توافق معه مما هو موجود، ويضيف إليه ما تحتاج إليه البشرية في نظام حياتها ودستور تعملاتها، كما أنه ينتظم في عقد واحد مع ما جاءت به رسالة الإسلام من تتميم "صالح" الأخلاق و"مكارم" الأخلاق و"حسن" الأخلاق، كما جاءت بذلك الروايات.

وأما الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فله كتاب شهير بعنوان: "الإسلام عقيدة وشريعة" رأى فيه أن الإسلام شعبتان رئيستان، هما: العقيدة والشريعة، يقول:

"**العقيدة** هي الجانب النّظري الذّي يُطلب الإيمان به أوّلًا وقبل كلّ شيء إيمانًا لا يرقى إليه شكّ، ولا تؤثّر فيه شبهة، ومن طبيعتها: تضافر النّصوص الواضحة على تقريرها وإجماع المُسلمين عليها من يوم ابتدأت الدّعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها، وهي أوّل ما دعا إليه الرّسول، وطلب من النّاس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدّعوة، **والشّريعة** هي النُّظم التي شرّعها الله أو شرّع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربّه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون، وعلاقته بالحياة، وقد عبّر القرآن عن العقيدة بالإيمان وعن الشّريعة بالعمل الصّالح"(15).

---

(13) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان.الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م: 124/2.

(14) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(15) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، 1421هـ2001م: 10-9.

ورغم ذلك فهو في آخر حديثه عن الشريعة من آخر كتابه تحدث عن الأخلاق، أو ما أسماه "شعبة الأخلاق"، فقال: "وليس من شك في أن قوام الانتفاع بهاتين الشعبتين، وقوام الصدق في شعب العقيدة والعبادة والنظم، إنما هو التمسك بشعبة أخرى، وهي شعبة الأخلاق. لقد دل تاريخ الرسالات الإلهية في جميع مراحلها، على أن السعادة التي جعلت هذه الشعب سبيلا إليها، لابد في الحصول عليها من حسن الخلق، وأن الإيمان الذي يرجع فقط إلى مجرد العلم بوحدانية الله، والعبادة التي ترجع فقط إلى الصور والأشكال، وأن النظم التي ترجع فقط إلى مواد القوانين والفقه المحفوظ في الصدور، وأن المتعة بالحياة التي ترجع فقط إلى مظاهر العامة – دل تاريخ تلك الرسالات وإرشاداتها – على أن انقطاع هذه الشعب في جوهرها عن شعبة الأخلاق هكذا أو انقطاع شعبة الأخلاق عنها مما يهدم في النفوس وفي الحياة الأثر الذي ترتبه الحكمة الإلهية في الإنسان على التكليف بهذه الشعب والإرشاد إلى التمسك بها"[16].

فهذه كلمات من فقهاء قديما وحديثا ترشدنا إلى هذه الآصرة القوية بين الأخلاق والشريعة، وهي علاقة حاكمة وحاضنة وحافظة بما للأخلاق من روح تسري في جميع أبواب العقيدة والشريعة، وجميع أبواب الفقه الإسلامي، وأنه لا يمكن أن تتأسس الأخلاق إلى على عقدية، ولا تتأسس الأحكام إلا على الأخلاق.

5.الأخلاق مقاصد والمقاصد أخلاق:

وإذا كانت هذه منزلة الأخلاق في الإسلام فلا شك أنها بحد ذاتها مقصودة شرعا؛ فإن الأخلاق الحسنة والتخلق بها وتعهدها ورعايتها وتحقيقها – الوفاء، والجود، والنجدة، والإحسان إلى الخلق، والشجاعة، وحماية الجار، والنجدة، والمروؤة – مقصود شرعا؛ وكذلك القيم من حرية وعدالة ومساواة وكرامة، رعاية كل هذه وتحقيقه ولحفاظ عليه مقصود شرعا.

---

[16] المصدر السابق: 463، وللمزيد من الاطلاع على الأخلاق ومكانتها يمكن الرجوع للمصادر الآتية: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه، ومداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم، ودستور الأخلاق في القرآن لمحمد عبد الله دراز، والأخلاق الإسلامية وأسسها لحبنكة الميداني، والأخلاق في الإسلام لمحمد يوسف موسى، وسؤال الأخلاق لطه عبد الرحمن.

والذي يدل على أن بلوغ درجة حسن الخلق مقصود شرعًا قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إنّ للهِ تعالى تِسعةً وتِسعينَ اسمًا، مَن أحصاها كُلَّها دخَلَ الجنَّةَ"(17).

وقد ذكر العراقي عن الخطابي في كتابه "طرح التثريب في شرح التقريب" ثلاثة معانٍ لد "إحصاء" في قوله: "من أحصاها"، هي: العد حتى يستوفيها ويدعو بها كله، والثاني: الإطاقة يعني يتخلق منها بحسب طاقته، والثالث هو أن يعقل معناها ويحيط علمًا بمعانيها.

قال أبو العباس القرطبي بعد ذكره معنى هذا الكلام، والمرجو من كرم الله تعالى. أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة لكن المرتبة الأولى رتبة أصحاب اليمين، والثانية وهي التي في كلام الخطابي ثالثا للسابقين، والثالثة وهي التي في كلام الخطابي (ثانيا) للصديقين(18).

وقال أبو حامد الغزالي: "وَلَقَد سَمِعت الشَّيْخ أَبَا عَليّ الفارمذي يَحْكِي عَن شَيْخه أبي الْقَاسِم الكركاني قدس الله روحهما أَنه قَالَ إِن الْأَسْمَاء التِّسْعَة وَالتسْعين تصير أوصافا للْعَبد السالك وَهُوَ بعد فِي السلوك غير وَاصل وَهَذَا الَّذِي ذكره إِن أَرَادَ بِهِ شَيْئا يُنَاسب مَا أوردناه فَهُوَ صَحِيح، وَلَا يظنّ بِهِ إِلَّا ذَلِك، وَيكون فِي اللَّفْظ نوع من التَّوَسُّع والاستعارة فَإِن مَعَاني الْأَسْمَاء هِيَ صِفَات الله تَعَالَى وَصِفَاته لَا تصير صفة لغيره وَلَكِن مَعْنَاهُ أَنه يحصل لَهُ مَا يُنَاسب تِلْكَ الْأَوْصَاف كَمَا يُقَال فلَان حصل علم أستاذه وَعلم الْأُسْتَاذ لَا يحصل للتلميذ بل يحصل لَهُ مثل علمه"(19).

---

(17) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (10481)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

(18) العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي: 7/ 154-155.

(19) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الجفان والجابي. قبرص. الطبعة الأولى. 1407هـ - 1987م: 150، وقد ذكر بعد ذلك مباشرة احتمالات لهذه المعاني على طريقة تقسيم المناطقة، جعلها خمسة أقسام، وفصل فيها القول هناك.

وقال ابن حجر: "قال الأصيلي ليس المراد بالإحصاء عدها فقط لأنه قد يعدها الفاجر وإنما المراد العمل بها"(20).

وهذا يشير بوضوح إلى أن التخلق بمقتضيات هذه الأسماء حسب طاقة العبد وقدرته، وبخاصة أسماء وصفات الجمال، أمر مقصود شرعا، وبه يبلغ الإنسان درجة الكمال الإنساني، فرعاية الأخلاق وتحقيقها والحفاظ عليها وعلى وجودها قوية حاضرة ليعد من أجل مقاصد الشريعة بل من أهم مقاصد رسالة الإسلام.

وإذا كان التخلق بالأخلاق الحسنة مقصودا شرعا، فإن التخلي عن الأخلاق السيئة كذلك مقصود شرعا، وقد فصل أبو حامد الغزالي في ذلك طويلا في ربع "المنجيات"، وربع "المهلكات" من كتابه: "إحياء علوم الدين".

ومن ناحية أخرى فإن المقاصد تعتبر أخلاقا في حقيقتها، فماذا نعد حفظ الأمن الاجتماعي وحفظ الكرامة الإنسانية، وتحقيق الحرية المنضطة، بل حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل؟ إن هذا كله ليعد من أُمَّاتِ الأخلاق وأصولها.

والإمام الشاطبي قد تحدث عن مقاصد المكلف، فمقاصد المكلف هي نيته، واشترط لها أن تتطابق مع مقصود الشارع، فنية العبد أمر أخلاقي، واتساقها مع مقصود الشرع أمر أخلاقي، والإمام الشاطبي هو القائل: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا"(21). فالخروج من الهوى هم من صميم الأخلاق وأصولها، فاتباع الهوى يؤدي إلى التحلل من الخلق الحسن والتلبس بالخلق الرديء.

6.طه عبد الرحمن وتخليق المقاصد:

وللدكتور طه عبد الرحمان رؤية أخلاقية يطرحها ويربط بها المقاصد أو يصبغ بها المقاصد، وهي ما تسمى بـ"تخليق المقاصد"، والتخليق هنا من الأخلاق وليس من الخَلْق.

---

(20) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة. بيروت. 1379هـ: 11/ 226.

(21) الشاطبي، الموافقات: 289/2.

وابتداء فإن مشروعه الأخلاقي يتأسس على ثلاث نظريات يكمل بعضها البعض أطلق عليها تباعا: "نظرية القيم (الغايات)"، و"نظرية النيات"، و"نظرية الأفعال (الوسائل)"، حيث تتبوأ "نظرية القيم" أعلى مرتبة، تليها "نظرية النيات"، ثم "نظرية الأفعال"، وبيانُها على النحو الآتي:

المقصِد يأتي بمعنى "المقْصُود" أو المراد، وهو المضمون الدلالي المراد من القول، وإذا ربطنا هذه الدلالة بالشريعة وقلنا مقصود الشريعة، فهذا يعني "المضامين الدلالية المرادة للشارع بأقواله التي يخاطب بها المكلفين". وتلك المضامين الدلالية للشريعة عبَّر عنها طه عبد الرحمان باسم "الأفعال". ومعلوم أن مقاصد الشريعة تنظر في الأحكام التي تتضمنها أقوال الشارع الحكيم، ومادام علم المقاصد علما أخلاقيا وجب أن يقوم على ركن أول سماه طه عبد الرحمان "نظرية الأفعال" مهمتها البحث في الجوانب الأخلاقية للأفعال الشرعية التي تنص عليها الأحكام (المضامين الدلالية).

المقصد ثانيا يأتي بمعنى "القصد" أو النية، وعليه فمقاصد الشريعة يراد منها قصود الشارع وقصود المكلف؛ أي النية التي تصدر عنهما. "ومتى كان علم المقاصد علما أخلاقيا ينظر في القصود (النوايا) التي تصدر عن الشارع والمكلف لزم أن يقوم على ركن أساسي ثان هو "نظرية النيات" تنظر في الجوانب الأخلاقية لهذه القصود التكليفية".

ثالثا المقصد يأتي بمعنى الغاية المرغوب فيها، والتي يراد تحقيقها، وعلى حد تعبير طه عبد الرحمان، تكون الغاية قيمة يتوجه إليها القول وتوجهه. وما دام أيضا مبحث المقاصد علما أخلاقيا ينظر في الغايات المرغوب فيها التي تسعى الشريعة لتحقيقها في حياة المكلفين يجب كذلك أن يقوم على ركن ثالث هو "نظرية القيم" تبحث في الجوانب الأخلاقية لهذه الغايات الشرعية.

والجامع بين النظريات الثلاث هي "أخلاقية المقاصد" أو أنه لا يمكن أن تستقيم هذه المعاني الثلاث إلا بالنظر للمقاصد على أنها علم أخلاقي، والمبرر المنطقي عنده أن الأحكام الشرعية لا يمكن أن تخلو من مضمون دلالي وإلا صارت لغوا، ولا يمكن أن تخلو أقوال الشريعة وأحكامها من القصد والنية وإلا كانت سهوا، وأيضا لا يمكن أن تخلو من القيمة والغاية وإلا صارت عبثا وجزافا.

خلاصة القول، أن علم المقاصد ينبغي أن تؤطره القيم الأخلاقية الإسلامية التي تحقق صلاح الإنسان، ويقوم على نظريات ثلاث متكاملة، وهي -تذكيرا- "نظرية الأفعال" وتدور على مفهومي القدرة

والعمل، و"نظرية النيات" وتدور على مفهومي الإرادة والإخلاص، و"نظرية القيم" وتدور على مفهومي الفطرة والصلاح(22).

والحق أننا لسنا بحاجة للقول بتخليق المقاصد، أو لجعل الأخلاق حاكمة على المقاصد، أو لصبغة المقاصد بالأخلاق؛ وذلك لسبب واضح وهو أن المقاصد نفسها أخلاق، فالأخلاق مقاصد والمقاصد أخلاق كما أشرنا سلفا، وأن القول بأن المقاصد ليست "مُخلَّقة" وأننا بحاجة إلى تخليقها – يعني أن نصبغها بالأخلاق – هو قول من لم ينعم النظر في حقيقة المقاصد وجوهرها، وهذا ترتب عليه تقسيمات رآها د. طه في البحث نفسه لرؤيته في تجديد المقاصد، وهي – بحسبه -: قيم حيوية أو قيم النفع والضر، وقيم عقلية أو قيم الحسن والقبح، وقيم روحية أو قيم الخير والشر، والواقع أن هذه التقسيمات لا علاقة لها بالمقاصد ولا بتجديد المقاصد، وأنها – كذلك – لا تأثير لها في العمل الوظيفي والغائي للمقاصد وهو انعكاسه مباشرة على الاجتهاد والتنزيل في العمل الأصولي والفقهي والإفتائي.

7.هل الأخلاق كلية سادسة للكليات الضرورية الخمس؟:

نختم حديثنا عن الأخلاق والمقاصد بهذا السؤال، وهو: هل الأخلاق يمكن أن تضاف بوصفها كلية من الكليات الضرورية الخمس لمقاصد الشريعة: الدين والنفس والنسل والعقل والمال؟

هذا ما كان مستقرا في نفس الأستاذ أحمد الريسوني؛ حين كان في مرحلة إنجاز الماجستير: "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، قال: "استقر في نفسي أن "الأخلاق" تستحق بكل جدارة أن تضاف إلى الضروريات الخمس، سواء كانت السادسةَ أو قبل ذلك. وفكرت في التطرق إلى هذا الرأي وبيانه والدفاع عنه، ولكني أحجمت خشية أن يكون ذلك مقحما على الموضوع الأصلي للكتاب، المخصص للإمام الشاطبي ونظريته. وقلت: إذن أكتب فيه إن شاء الله بشكل مستقل ومستوف".

---

(22) عبد الرحمان، طه، مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة، مجلة المسلم المعاصر، عدد (103). شوال ذو القعدة ذو الحجة 1422م الموافق يناير فبراير مارس 2002م، ص: 41-64 من العدد، وللتوسع يراجع: عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2012م: 97-109.

ثم استدرك قائلا: "لكن مع مرور الوقت لم أعد متحمسا لإلحاق الأخلاق بالضروريات الخمس، رغم أن أهميتها وضرورتها لم تنقص في نظري، وإنما هي تزيد كلما تأملت فيها أو درست جانبا منها. وسبب هذا العدول هو تغير موقفي من الضروريات الخمس و"مسألة حصرها أو الزيادة فيها". فالذي استقر عليه الأمر عندي هو أن "الضروريات الخمس" لا مزيد عليها إذا فُهمت على ما أراده بها القدماء، وهو أنها تعني المصالح الاضطرارية الأساسية، التي لا تقوم بدونها حياة دنيوية ولا أخروية، وأن فقدانها مُفضٍ حتمًا إلى الهلاك والخراب، وعليه أصبحت أرى الإبقاء على حصر هذه "الضروريات الخمس" على ما انتهى إليه علماؤنا السابقون، والإبقاء على اصطلاحهم بلفظه وعدده ومعناه"(23).

والذي أراه – ولله العلم والحكمة والحجة البالغة – أن الأخلاق كلية مستقلة عن المقاصد، فالدين مكون من كليات كبرى: كلية العقيدة، وكلية الأخلاق، وكلية المقاصد، وكلية السنن، وهكذا، فكل كلية من هذه الكليات مكونة لـ"الدين" ولها سهمة في إقامته وتصوره، كما أن كل كلية منها تسري في الدين كلية بأبوابه كلها، وتحكم عليه، وتتحكم في جزئياته.

وهذا لا يعني أن كل كلية من هذه الكليات الكبرى بمعزل عن الأخرى، بل بينهما علاقة تأثير وتأثر، فالعقيدة حاكمة على الكليات الأخرى، وللعقيدة أخلاق ومقاصد وسنن، والأخلاق مقاصد والمقاصد أخلاق، كما أن للمقاصد سنن وللسنن مقاصد، وهكذا فكليات الدين والشريعة يعمل بعضها في بعض، ويؤثر بعضها في بعض، ويتأثر بعضها بالآخر، فهذه الكليات بمثابة الجسد الواحد؛ لأنها تجسد الدين وتشكل الشريعة.

ومن ثم فإن إدخال الأخلاق باعتبارها كلية ضرورية ضمن كليات المقاصد هو تحجيم للأخلاق من جهة، وتعسف معها من جهة ثانية، وخطأ من جهة ثالثة؛ إذ إنها لا يمكن في التصور الأكبر للدين أن تكون تحت المقاصد؛ لأنها قسيم لجميع المقاصد وحاضنة لها، وليست قسما منها، بل هي كلية كبرى قائمة بذاتها تعادل الكليات الكبرى الأخرى وهي تحتاج لدراسة في أصولها وخصائصها وآثارها في الفهم والتطبيق.

---

(23) الريسوني، دراسات في الأخلاق: 59-60.

خاتمة:

تبين لنا من هذه الصفحات مكانة الأخلاق وعلاقتها بالمقاصد، فالدين أخلاق، والأخلاق دين، والأخلاق مقاصد، والمقاصد أخلاق، فلا دين لمن لا أخلاق له، ورعاية االأخلاق وحفظها وتحقيقها من مقاصد الشريعة، كما أن المقاصد الشرعية لا يتصور إلا أن تكون أخلاقية.

مقاصد الشريعة حاكمة للفقه الإسلامي ومسائله، ولا يتصور انفصام الفقه عن الأخلاق، كما أن هناك مباحث في أصول الفقه محكومة بالأخلاق، ويجدر بالأخلاق أن تكون حاكمة لحركة الإنسان في هذه الحياة، وتعاملاته مع المسلمين وغير المسلمين.

إننا بحاجة للحديث عن الأخلاق وآثارها في علوم الشريعة، وبحاجة ماسة إلى سحب هذا الحديث الأخلاقي على عمل المفسر، وعمل الفقيه، وعمل الأصولي، وعمل المحدّث، وعمل كل عامل، ودعوة كل داع، فإن الإسلام رسالة الأخلاق، وإنما بحث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ليتمم مكارم الأخلاق.

أهم المراجع:

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: 595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ - 2004م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ) ، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: د. محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ - 1996م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، 1415هـ - 1995م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م.

الريسوني، د. أحمد، دراسات في الأخلاق، دار الكلمة للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى. 1437هـ/ 2016م.

الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1425هـ/ 2004م.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: 483هـ)، كتاب المبسوط، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، 1414هـ - 1993م.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان.الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة، 1421هـ 2001م.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.

عبد الرحمان، طه، مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة، مجلة المسلم المعاصر، عدد (103). شوال ذو القعدة ذو الحجة 1422م الموافق يناير فبراير مارس 2002م.

عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2012م.

العبيدي، د. حمادي، ابن رشد وعلوم الشريعة، دار وحي القلم. دمشق. ط1. 1434هـ. 2014م.

العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي. د.ط. د.ت.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة. بيروت. 1379هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الجفان والجابي. قبرص. الطبعة الأولى. 1407هـ - 1987م.

Kaynakça

İbn Rüşd, Ebu'l-Velid Muhammed ibn Ahmed ibn Muhammed ibn Ahmed ibn Rüşd el-Kurtubi, İbn Rüşd el-Hafid (ö.: 595 AH), Bidâyetü'l-müctehid ve nihâyetü'l-muḳteṣid, Dar al -Hadis, Kahire, H. 1425 - MS 2004.

İbn Qayyim al-Cevziyyah, Muhammed bin Ebi Bekir bin Ayoub bin Saad Shams al-Din, (T.: 751 AH), Celaül Efham fi Fadlis Salat ves Selam ala Muhammed Hayril Enam: Shuaib al-Arnaout ve Abdülkadir el-Arnaut. Dar Al Orouba, Kuveyt, AH 1407 - MS 1987.

İbn Kayyim el-Cevziyye, Muhammed bin Ebi Bekir bin Eyyub bin Saad Şemseddin, (T.: 751 H.), Medâricu's-Sâlikîn beyne menâzili iyyâke na'budu ve iyyâke nestaîn: d. Muhammad Al-Mu'tasim Billah Al-Baghdadi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beyrut, H. 1416 - MS 1996.

Al-Albani, Ebu Abdurrahman Muhammed Nasır el-Din, İbnü'l-Hac Nuh bin Necati bin Adam, El-Ashqoudari Al-Albani (T.: 1420 AH), Silsiletü'l-eḥâdîṣi'ṣ-ṣaḥîḥa ve şey'ün min fıḳhihâ ve fevâ'idihâ, Al-Ma'arif Kütüphanesi, AH 1415 - MS 1995.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughira Al-Bukhari, Abu Abdullah (T.: 256 AH), Al-Adab Al-Mufrad: Muhammed Fouad Abdul-Baqi, Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beyrut, 1409 H. - 1989 M.S.

Raissouni, Dr. Ahmed, Dirasat fi al-akhlaq, dar alkalimat lilnashr ve il-tevzii. Kahire. 1437 H. / 2016 M.Ö.

Al-Zarqa, Mustafa Ahmed, almadkhal alfiqhiu al-aam, Dar Al-Qalam, Damascus, H. 1425 / MS 2004.

Al-Sarkhasi, Muhammed bin Ahmad bin Ebi Sehl, Shams al-Aimmah (ö.: 483 AH), Kitab al-Mabsut, Dar al-Ma'rifah, Beyrut, AH 1414 - MS 1993.

Al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim bin Musa Al-Lakhmi Al-Gharnati (T.: 790 AH), Al-Muwafaqat: Mashhour bin Hassan Al Salman. Dar İbn Affan. H. 1417 / MS 1997.

Shaltut, Mahmoud, al'iislam eaqidat ve shariea, Dar Al-Shorouk, Kahire, AH 1421 2001 AD.

Al-Shaibani, Ebu Abdullah Ahmed bin Muhammed bin Hanbel bin Hilal bin Asad Al-Shaibani (ö.: 241 AH), Musnad Imam Ahmad bin Hanbel: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid ve diğerleri, denetim: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Al-Risala Foundation, AH 1421 - MS 2001.

Abd al-Rahman, Taha, meşrue tajdid eilmiin limabhath maqasid ul-shariea, Journal of the Contemporary Muslim, No. (103). Ocak Şubat Mart 2002: Şevval Dhu al-Qi`dah Zilhicce 1422 AD.

Abdul Rahman, Taha, almanhaj fi taqvim al-turas, Arap Kültür Merkezi, Kazablanka, Fas, 2012.

Al-Obaidi, Dr. Hammadi, İbn Rüşd ve ulum al-Şeriat, Dar Wahi al-Qalam. Şam. 1434 AH - 2014 AD.

Al-Iraqi, Abu al-Fadl Zain al-Din Abd al-Rahim bin al-Hussein bin Abd al-Rahman bin Ebi Bekir bin İbrahim al-Iraqi (ö.: 806 AH), el-Tathrib fi Sharh al- Taqreeb. Arap Mirası Uyanış Evi, Arap Tarihi Vakfı ve Dar Arap Düşüncesi D.T.

Al-Asqalani, Abu al-Fadl Ahmad bin Ali bin Hacer (ö.: 852 AH), Fath al-Bari, şerh Sahih al-Buhari, Dar al-Ma'rifah. Beyrut. 1379 H.

El-Gazali, Ebu Hamid Muhammed bin Muhammed El-Ghazali El-Tusi (ö.: 505 H.), El-Maksid ul-Asna Fi şerh Asma' Allah Al-Husna): Bassam Abdel-Wahhab Al-Jabi , Dar Al-Jaffan ve Al-Jabi. Kıbrıs. 1407 H., 1987 M.S.